كانت جدتي نحيلة الجسم ، ذات بشرة بيضاء وشعر يميل الى اللون الاحمر وعينين بلون بني فاتح · ولا شك انها كانت في غاية الجمال في صباها · كانت شخصيتها قوية وكان جدي لا يعارضها بشيء ويرضخ لاوامرها ، بالرغم من معاندته لها احيانا في موضوع التدخين والقهوة ـ فقد كانت تسمح له بتدخين نصف سيجارة وارتشاف نصف فنجان قهوة باوقات معينة وحسب برنامج يومي دقيق · وكان يحاول دائما الفوز بامتيازات اكبر ، كتدخين سيجارة بكاملها او شرب فنجان قهوة بكامله · كانت حياتهما هادئة سعيدة ، خصوصا بعد انتقالهما الى بيتهما الجديد ·

كانت جدتي دائما تحلم بامتلاك بيت خاص بها · وتحقق حلمها في منتصف الثلاثينات بعد ان وفرت من المال ما يكفي لبناء بيت كبير ، عهدت ببنائه الى مهندس ناشيء اسمه اميل بستاني ـ الذي اصبح بعد الحرب العالمية الثانية اكبر مقاولي البناء في العالم العربي · وبنى البيت على احدث طراز ، بالرغم من ان الحمام لم يكن يشتغل على ما يرام ·

كان نزوح جدي وجدتي عن بيتهما في سنة ١٩٤٨ اقسى تجربة مرت بهما في حياتهما ، وكانت السنوات الاخيرة من حياتهما ملأى بالحزن واليأس والضياع · ففقدت جدتي مرحها وحيويتها وفقد جدي رشده ، ولم يعد يتعرف الى الذين حوله · في بيروت اقاما مع خالاتي ووالدتي واخي الاصغر في بيت مؤلف من حجرتين تملكه سيدة تقرب جدتي قرابة بعيدة ·

توفي جدي في سنة ١٩٥٠ · قبل وفاته كان يحاول بين آن واخر التسلل من البيت في غفلة عن اهله ليرجع الى عكا · وكان عندما يمسكون به في الشارع يقول :

ـ انا بس راجع لبيتي ·· انا بيتي في عكا ·· ليش ما بتخلوني ارجع لبيتي ؟ ويأخذ مفتاحا من جيبه ويقول :

ـ ما بتصدقوني ·· هذا مفتاح بيتي ··

وعندما يعودون به الى البيت يجلس صامتا والدموع تسيل من عينيه وتبلل لحيته التي لم تعد جدتي تقصها له كما كانت تفعل في عكا ، ويرفض الكلام زمنا طويلا ·

وتوفيت جدتي بعده بثماني سنوات ·

(٢)

قبل سفري الى الولايات المتحدة ببضعة ايام توقفت في عكا لاودع بيت جدي ووالدتي وكامل واكرم ·